

النجاح والفشل عند الأطفال



وجدت في هذا العالم كالبذرة التي ينتظر نضجها لتصبح أفضل ما يمكن أن تكون عليه.

إنّك في حاجة للتربة كي تنضج، كي يصبح لديك متنفس صحيح، كي تتمدد وتفرد أجنحتك، كي تنجح، وتبتعد عن الفشل.

ليست هناك قواعد لترشدك، عليك أن تجد طريقك بسرعتك الخاصة، وأن تقبل الحقائق التي تكتشفها عن ذلك، أقلع عن شبكة الأمان وخص المخاطر، وسوف تكتشف أنّ عالمك ينضج بالأخطاء التي تستطيع أن تتحمل مسؤوليتها.

إذا سمحت لوالديك أن يبقيا بالقرب منك على نحو مبالغ فيه، فإنّك ستظل طفلاً للأبد، فلا يمكنك أن تنضج في وجود والدين لا يصدقان أنّك إنسان جيّد.

لا يمكنك أن تنضج عندما يكون هناك من يقوم من البشر على حمايتك دائماً.

إنّ النضج هو تحرير الأشياء الجيدة الموجودة لديك بالفعل، إنّك تفعل ذلك بترك ما لا يصلح لك، إنّ فقدان وهم زائف مكسب، ولكن لا بدّ أن تكتشف ذلك بنفسك.

إنّ أقصى مراحل نضجك هي عندما تؤمن بأنّ لديك شيئاً تمنحه للعالم.

إن لم تنضج، يصبح كلّ شيء تكراراً للماضي.

إنّك دائماً تنمو عندما تمنح الحب.

إنّ الذات التي تعجبك هي الشخص الذي تكوّن به.

إنّ الفشل في الاعتراف بالحقيقة دائماً ما يعوق نضجك، وحتى الأطفال والأغبياء لديهم دروس يلقنونها للآخرين.

لا تزدد عمراً، بل ازدد نماءً إلى الأفضل.

إنّ توقعاتك تسلب منك البهجة أكثر مما يسلبك الفشل إياها.

إنّ التوقعات تخلق خيبة الأمل وذروة النجاح بالسماح لك أن تشعر بأنّ العمل الجيد ليس عظيمًا، إنّ توقع الفشل فشل في حد ذاته.

فعندما تتوقع أن تخسر، فإنّك تتصيّد دلائل الخسارة وتتفاعل معها كدليل على فشلك، على النجاح المفقود في هذه العملية.

إذا بلغت في توقعاتك، فإنّ الذين يتسمون بالعطاء سوف يخذلونك.

إنّ بلوغ التوازن بين الانفتاح والحذر أمر صعب المنال. إنّك تريد أن تجرب مباحج الحياة دونما ارتياب أو إنهاك. إنّك لا تريد أن تُجرح، فالبراءة لا تتوقع الخداع، ولهذا السبب يستطيع الأطفال أن يبلغوا ذروة السعادة.

ليس هناك مفاجأة مروعة، مثل أن تكتشف شيئاً لم تتوقع أبداً أن تواجهه، إنّك في حاجة لأن تحمي نفسك بدون أن تقلل من صراحتك وانفتاحك على العالم، إنّ التقليل من توقعاتك يزيد من تكاملك.

يحسن بنا استثمار الخطأ والفشل وتوظيفه بما ينقله إلى الصواب والنجاح، وقد ذكر الأستاذ أحمد بن سالم الحوسني في كتابه (20 قاعدة في استثمار الأخطاء) مما يجدر التوقف عنده، فقال:

- 1- لا تفترض العصمة في الأشخاص فتحاسبهم بمقتضى ذلك، وما وقع فيه زيد من الخطأ قد تقع فيه أنت، فالخطأ من طبيعة البشر، ولا يكاد يسلم منه إنسان.
- 2- أخلص نيتك في تصحيح أخطائك وأخطاء الآخرين من حولك، فالإخلاص أساس العمل وروحه التي يغدو أجوف بدونها لا روح فيه ولا أجر عليه.
- 3- إياك والانتصار للنفس، فإن كنت مخطئاً، وأدرت ذلك، فاعترف بخطئك، وليس قدر العيب في الخطأ كقدره في التماهي فيه، وقد علمت أنّه خطأ.
- 4- ليس الخطأ نهاية المطاف، بل هو بداية التصحيح، فالإنسان الناجح يتعلم من أخطائه، ويستفيد منها، ويجعلها خطوة دافعة لا محبطة، لذلك يجدر بك أن تتعلّم كيف تستفيد من الخطأ، وذلك بتقويمه والبحث عن أسبابه وجذوره، ثمّ تصحيحها حسب طبيعة الخطأ وحجمه وموقعه.
- 5- أعط كل خطأ حجمه الطبيعي، وضعه في إطاره الصحيح دون تهويل ولا تقليل، فذلك يساعدك على تحديد آلية التعامل المناسبة.
- 6- كن هادئاً في تعاملك مع الخطأ، فالهدوء طريقك لاختيار الأسلوب الأمثل للمعالجة، كما يجنبك الوقوع في محاذير أنت في غنى عنها، ولنا في رسول الله أسوة حسنة. فكن هادئاً، بارد الأعصاب، حتى وإن تعرضت للسلب والشتم والاستفزاز؛ لأنّ غضبك عندها يشفي غريمك ويشفيك في حين أنّ هدوءك يغيظه ويزيده عنقاً، إن كان معانداً!، ويربّحه ويقربه، إن كان قاصداً لحقّ.

- 7- كن لينا في التعامل، سمحاً في المعالجة؛ لأن هدفك التصحيح لا المعاقبة والشدة، وإن دعت الحاجة إليها في بعض المواقف إلا أنها من الندرة بمكان.
- 8- ليكن اهتمامك بكسب الأشخاص أكبر من اهتمامك بكسب المواقف، فربما يخطئ عليك إنسان فيجرك بكلامه أو يجررك بمعاملته، فتكون قادراً على الرد وكسب الموقف إلا أن ذلك قد يفقدك الشخص نفسه!!
- 9- لا تتسرع في تخطئة الآخرين، فربما يكون للمخطئ بنظر وجه فيما أقدم عليه، وربما صنع ذلك لمصلحة خفية عليك، ولا تتعجل بالعقوبة - إن كانت بيدك - قبل أن تعرف طرف المخطئ أو تتبين الأمر، فكم من رجل طلق زوجه بسبب تعجله في العقوبة، وقد كانت تسعى لمصلحته، وكم من أب جنى على ابنه، ولم يمهله ليدفع عن نفسه، وكم من مدير عاقب موظفاً دون استماع إلى عذره، وكم من أخ هجر أخاه لتسارعه وعدم إمهاله!!! لذا كن متأنياً، فإن التسرع ليس من الحكمة في شيء.
- 10- كن مقدراً لعلاقتك بالمخطئ، وموقع كل منكما، فقد تكون منزلتك قريبة منه وتعرف مداخله، فيسهل عليك العلاج، وقد تكون العلاقة بينكما ليست بالقوية، أو أن هناك بعض الظروف التي تحول دون المصارحة، أو أن المخطئ سيكون أكثر تقبلاً لو جاءه التصحيح من طرف آخر، فهنا يفضل إرسال شخص قريب من المخطئ، ليتولى التصحيح، لكن لا بد من الحكمة، لأن بعض الأخطاء لا تحتمل نقلاً للآخرين، أو قد يؤثر الإرسال في نفسية المخطئ إذا ما علم بأن المصحح إنما هو رسول من فلان، فالتقدير مهم جداً وإلا خيف من حدوث ما لا تحمد عقباه، ومن اعتبار المواقف أن المخطئ قد يكون أعلى منزلة من المصحح، كأن يكون أباً أو أستاذاً أو شيخاً فلا بد عندها من التأنى، وإيجاد المداخل المناسبة بعد التأكد من الخطأ، وربما يحسن في كثير من المواقف السكوت اتهاماً للنفس وحفظاً لمنزلة أولئك.
- 11- احذر من إصلاح خطأ يؤدي إلى خطأ أكبر، فإن ما قصدت بالتصحيح المصلحة، فإن أدى إلى مفسدة فهو ليس إصلاحاً عندها، بل هو إفساد تترتب عليه مضار أكبر؛ لذلك فاحرص على أن تكون لك نظرة تتجاوز موقع الخطأ وتحيط بجميع أبعاده.
- 12- كن مراعيًا للطبيعة التي نشأ عنها الخطأ، فقد يقع الإنسان في الخطأ بسبب طبيعته التي نشأ عليها.
- 13- لا بد من مراعاة بيئة المخطئ، لأن الذي يعيش في المدينة طبيعته تختلف عن الذي يعيش في بيئة بدوية أو جبلية أو قروية.
- 14- قد يسكت الإنسان عن الخطأ لتأليف قلب المخطئ، وربما تقبل بعض أخطائه، ويصح بعضها حسب الخطأ وحجمه.
- 15- عليك بالتفريق بين ما إذا كان المخطئ جاهلاً، أو متعمداً، أو ناسياً في أسلوب تبليغه حسب الطبائع، كذلك التفريق بين الذي يكرر الخطأ، وبين من وقع فيه لمرة واحدة.
- 16- إذا احتوى عمل شخص ما على خطأ معين فلا بد من تقدير قيمة الخطأ بالنسبة للعمل كلاً، وهو ميزان في مسألة النقد الهادف، ويقتصر في الإنكار على موضع الخطأ مع تقبل باقي العمل حسب التقدير.
- 17- إذا قررت أن تواجه شخصاً بخطئه، فاختر وقتاً مناسباً ومكاناً مناسباً، ولا تنقده في حضرة الناس.
- 18- لا بد من حفظ مكانة المخطئ وتقدير رأيه إذا ما صدر خطؤه عن نظر منه، ومناقشته في ذلك بصورة هادئة بدون تسفيه.
- 19- لا تقلد في التصحيح، فالأسلوب الذي يستطيعه زيد قد لا يمكن لعمره أن يستخدمه، لذلك لا بد من توشي الحكمة وتقدير الموقف.

ليس كلُّ الناس أهلاً للمصارحة، أو تقبل النقد، فمنهم من يقبل، ومنهم من يقبل ظاهراً، لكنّه يضر في نفسه خلاف ذلك!، ومنهم من يدافع عن نفسه بالباطل!، ومنهم من يغضب ويزمجر!.

لذلك، فإنّني لا أرى أنّ المصارحة هي الخيار الأوّل، حتى عند إتاحة الفرصة لها، بل يعتمد على الوضع، وعلى الموقف، وعلى نفسية المخطئ، كما يؤخذ في الحسبان مدى قوة أو ضعف العلاقة بين المخطئ والمصحح، ولا بدّ أن ينتبه المربي أو المعلم أو الناقد لمثل هذا الأمر فلا يتعجل بنقد التصرفات أو النشاطات أو المساهمات بمختلف أنواعها إلا بعد أن يدرس شخصية من يقوّمه وأثر النقد على نفسه، وربما كان السكوت على مساهمات المبتدئين والاكتفاء بتشجيعهم على التقدم أجدي وأنفع من النقد، ولو كان هادفاً؛ لأنّه قد يشكّكهم في قدراتهم.

الكاتب: عبد الله محمد الدرويش

المصدر: كتاب الأطفال.. الطريق إلى المستقبل